

# نَهج البلاغة... لمن؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
السَّخِيحُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ

أُحَالَتْ عَلَيَّ مَجَلَّةُ «البلاغ» الزاهرة رسالةً وردتها من احد قرائها يسأل فيها عن مدى صحة الكلام الذي يردّده بعض الناس، في التشكيك بنسبة «نهج البلاغة» لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام؛ وفي اتهام الشريف الرضي بوضع تلك الرسائل والخطب •

وتلبيةً لطلب «البلاغ» أضع هذه الصفحات أمام الأخ ابراهيم عبدالحسين صاحب السؤال المشار اليه وأمام جميع القراء الأعزاء، بأمل أن تكون - على اختصارها - وافية بالعرض ومؤدية لحق البحث، والله ولي التوفيق •

ان كتاب «نهج البلاغة» - كما يعلم الباحثون المدققون - قد جمعه الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى ٤٠٦ هـ واودع فيه ما اختاره من كلام امير المؤمنين عليه السلام، وقد أتمّ جمعه في رجب سنة اربعمائة للهجرة كما نصّ هو على ذلك في آخر الكتاب • وقد وهم جورجى زيدان - كعادته في أوهامه وأغاليطه - فنسب جمع النهج للشريف المرتضى علي بن الحسين<sup>(١)</sup> • وانه لغلطٌ فاحش لا يغتفر، وربما تابع فيه - بغير هدىً وثبت - استاذه بروكلمان الذي قال: «والصحيح انه من جمع الشريف المرتضى»<sup>(٢)</sup> •

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١٨١/١ و ٢٨٨/٢ •  
(٢) تاريخ الادب العربي - الترجمة العربية - : ٦٤/٢ •

ولو رجع بروكلمان وجورجي زيدان ومن شايعهما الى كتابي الشريف  
الرضي : حقائق التأويل والمجازات النبوية - وهما مطبوعان ومعروفان -  
لوقفا على تكرار الاشارة من الرضي الى كونه هو الجامع لكتاب  
النهج (٣) .

وحظي هذا الكتاب من الأهمية والشأن ما لم يحظ به كتاب غيره  
على مرّ العصور ، وأصبح له من الشروح ما بلغ (٧٥) شرحاً في حساب  
بعض المؤلفين (٤) و (١٠١) من الشروح في حساب مؤلف آخر (٥) .

وليس غريباً أن يكون للنهج كل هذه الأهمية وهذا الشأن ، فقد  
كان علي « امام الفصحاء وسيد البلغاء ، وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق  
وفوق كلام المخلوقين . ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة ، كما يروي  
عزالدين بن ابي الحديد .

ويقول عبدالحميد بن يحيى الكاتب : « حفظت سبعين خطبة من  
خطب الأصمح ففاضت ثم فاضت ، » .

ويقول ابن نباتة : « حفظت من الخطابة كترآ لا يزيد الانفاق الا  
سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن ابي طالب ، » .

« ونا قال محض بن ابي محض معاوية : جئتك من عند أعيان الناس  
[ يعني علياً ] قال له :

ويحك كيف يكون أعيان الناس ! فوالله ماسنّ الفصاحة لقريش  
غيره ، (٦) .

ويقول الشيخ محمد عبده : « وليس في أهل هذه اللغة الا قائل

---

(٣) حقائق التأويل : ١٦٧ والمجازات النبوية : ٤٠ و ٦٠ و ١٥٢ و ١٨٩  
و ٢٨٥ .

(٤) الغدير للأميني : ١٦٤/٤ - ١٦٩ .

(٥) مصادر نهج البلاغة للحسيني : ٢٤٨/١ - ٣١٣ .

(٦) يراجع فيما سبق : شرح نهج البلاغة : ٢٤/١ - ٢٥ .

بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه ؛ وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني، (٧) .

ولقد عزَّ على بعض « الناس ! » أن يكون نهج البلاغة انموذجاً من كلام علي وصورة مصغرة من منهجه العام في الدين والسياسة والادارة العامة للدولة مما أراد تطبيقه عندما آلت الخلافة اليه ، فتوجَّهوا بسهام الشك نحوه زاعمين « انه ليس من كلام علي ، وانما الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه » (٨) .

وجاء المتأخرون فسار « بعضهم » على طريق ذلك « البعض » السالف الذكر فرَّدوا تلك الشبهات وكرَّروا تلك الشكوك ، وكان من جملتهم جورجى زيدان الذى يقول : « وان كنا نرى ان كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره ! » (٩) .  
وكذلك المسيو ديمومبين الذى أراد - كما روى الدكتور زكي مبارك « أن يفضَّ من قيمة مانُسب الى علي بن ابي طالب من خطب ورسائل ؛ استناداً الى ماشاع منذ أزمان من أن الشريف الرضي هو واضع نهج البلاغة » (١٠) .

وهكذا تعاون هؤلاء جميعاً - بلا معرفة بينهم - في محاولة هدم هذا الصرح الفكري العظيم الذى يمثِّله « النهج » أبلغ تمثيل .  
وتصدَّى عدد من الكتاب والادباء والباحثين الى ردِّ هذه الفريسة واقامة البرهان على زيف هذه المزاعم وكذب هذه الادعاءات .

- 
- (٧) نهج البلاغة - تعليق محمد عبده : ٥/١ .  
(٨) وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣/٣ ، وقد أيده في زعمه هذا كل من الصفدي في الوافي بالوفيات : ٣٧٥/٢ والياضي في مرآة الجنان : ٥٥/٣ وابن حجر في لسان الميزان : ٢٢٣/٤ .  
(٩) تاريخ آداب اللغة العربية .  
(١٠) النثر الفني في القرن الرابع الهجري : ٦٩/١ .

وكان في طليعة من تصدّى لتفنيده هذه الشبهات اديب عصره عز الدين  
ابن ابي الحديد في شرحه للنهج ، ونروي في أدناه فقرات مما كتبه هذا  
الأديب :

« ان كثيراً من ارباب الهوى يقولون : ان كثيراً من نهج البلاغة  
كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي  
ابي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم أعمت العصية أعينهم ، فضلوا عن النهج  
الواضح . . . . . وانا اوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط  
فأقول : لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً ، أو  
بعضه . والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى  
أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم والمؤرخون  
كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا الى غرض في ذلك . والثاني يدل  
على ما قلناه ، لأن من قد أنس بالكلام والخطابة ، وشدا طرفاً من علم البيان  
وصار له ذوق في هذا الباب ، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح ،  
وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصل والمولد ، واذا وقف على كراس  
واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء ، او لاثنتين منهم فقط ، فلا بد أن  
يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين . ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر  
ونقده ؛ لو تصفحنا ديوان ابي تمام ، فوجدناه قد كتب في اثنا عشر قصائد أو  
قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر ابي تمام ونفسه وطريقته  
ومذهبه في القريض . . . . . وانت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً  
واحداً ونفساً واحداً واسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض  
من ابعاضه مخالف للباقي الأبعاض في اناهية ، وكالقرآن العزيز ، أو له  
كأوسطه ، وأوسطه كآخره . . . . . فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح  
ضلال من زعم ان هذا الكتاب أو بعضه منحول الى امير المؤمنين عليه  
السلام » (١١) .

ويروي ابن ابي الحديد عن شيخه ابي الخير الواسطي : ان ابا الخير سأل يوماً استاذَه ابن الخشاب بعد انتهائهما من قراءة خطبة علي المعروفة بالمشقشقية : « أتقول انها منحولة ! فقال : لا والله ، واني لأعلم انها كلامه كما أعلم انك مصدّق • قال : فقلت له : ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضي رحمه الله تعالى • فقال أنى للرضي ولغير الرضي هذا النَّفَس وهذا الاسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ••••• ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنِّفت قبل ان يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتُها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء واهل الأدب قبل أن يخلق النقيب ابو احمد والد الرضي » (١٢) •

ويُعلّق ابن ابي الحديد على هذه الخطبة نفسها فيقول :

« وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة ؛ وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة • ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب ابي جعفر ابن قبة ••••• وكان ••••• من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً » (١٣) •

ويقول الكاتب المصري المعاصر محمد عبدالغني حسن :

« ولئن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين اشداقهم من أن نهج البلاغة هو من كلام الشريف الرضي نفسه وانه ليس للامام علي كرم الله وجهه • فتلك قضية أحسن الدفاع فيها ابن ابي الحديد في القديم كما أحسن الدفاع عنها في زماننا هذا الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد » (١٤) •

---

(١٢) المصدر السابق : ٢٠٥/١ •

(١٣) شرح نهج البلاغة : ٢٠٥/١ - ٢٠٦ •

(١٤) تلخيص البيان - المقدمة : ٩٦ •

كما يقول الدكتور زكي مبارك تعليقاً على شكوك المسيو ديمومبين :  
« أما نحن فنتحفظ في هذه المسألة كل التحفظ ، لأن الجاحظ يحدثنا  
ان خطب علي وعمر وعثمان كانت محفوظة في مجموعات • ومعنى هذا ان  
خطب علي كانت معروفة قبل الشريف الرضي • والذين نسبوا نهج البلاغة  
الى الرضي يحتجون بأنه وضعها لأغراض شيعية ، فلم لا نقول من جانبنا بأن  
تهمة الوضع جاءت لتأييد خصوم الحملات الشيعية ، (١٥) » .

ومهما يكن من أمر !

وعلى الرغم من ضيق هذه الصفحات وعدم اتساعها لبحث هذا الموضوع  
كما يستحقه من اطناب وتفصيل ، فاننا سنستعرض المسألة بالقدر المناسب  
لهذا المجال وحجمه ؛ فتوجز - بأمانة - عرض الشبهات التي يرددها الشكك  
في هذا الصدد ، كما نوجز عرض الأجوبة والردود على كل ذلك ،  
ليحصص الحق وينكشف الزيف ويتجلى الصبح لكل ذي عينين •

### الشبهات :

الاولى - التعريض بصحابة رسول الله (ص) • وذلك ما لا يتناسب  
ومقام الامام وعظمة خلقه وسمو نفسه •

الثانية - تكرّر لفظي « الوصي » و « الوصاية » في نهج البلاغة ،  
وتلك لفظة لم يكن يعرفها المسلمون يومذاك ، وانما ابتدعها المبتدعون بعد  
ذلك التاريخ بمدة طويلة •

الثالثة - طول بعض الخطب الواردة في النهج كما في الخطبة المسماة  
بـ « القاصصة » والآخرى المسماة بـ « الأشباح » ، وكذلك طول بعض الكتب  
كـ « العهد » المكتوب لمالك الأشتر عندما ولاه الامام أمر مصر • وذلك  
ما يخالف الاسلوب المألوف لدى الصحابة وغيرهم من البلغاء أو انذاك •

الرابعة - السجع والتنميق والصنعة اللفظية والزرر كثة في التعبير •  
وذلك ما لم يعرفه الأدب العربي إلا بعد عصر الامام •

الخامسة - دقة الوصف كما في الخطب المعنيّة بوصف الخفاش  
والطاووس والنملة والجرادة • وذلك ما لم نجد له مثيلاً في المأثور من كلام  
العرب في صدر الاسلام ، وانما هو من آثار تعريب الترائين اليوناني والفارسي  
وتأثر العرب به ، وهو متأخر عن عصر الامام بكثير •

السادسة - استعمال الاحصاءات العددية كقوله : « الاستغفار على ستة  
معان » وكقوله : « الايمان على اربع دعائم » وكقوله : « الصبر على اربع  
شعب » • وهذا ايضاً من آثار التأثير بالتعريب ، ولم يكن معروفاً أو مألوفاً  
في عصر الامام •

السابعة - ورود عبارات في النهج قد يستشف منها القارىء ادعاء عليّ  
علم الغيب • وذلك ما يجب أن يكرّم مقام الامام عنه ، لأنه من خصائص  
النبوة التي لا يصح ادعاؤها لأي شخص بعد النبي (ص) •

الثامنة - الاكثار من كلمات الزهد وذكر الموت • وهذا من نتائج  
التأثر بالنهج المسيحي من جهة وبالحركة الصوفية من جهة اخرى ، وذلك  
كله متأخر جداً عن عصر عليّ •

التاسعة - رواية بعض الكتب والمراجع القديمة لبعض الجمل الواردة  
في النهج منسوبة الى اشخاص آخرين •

العاشرة - خلوّ كثير من كتب اللغة والأدب من الاستشهاد بما ورد  
في نهج البلاغة • واعراض اولئك الأعلام عن الاستشهاد بكلام الامام دليل  
على رفضهم لصحة اتسابها لعلي عليه السلام •

هذه هي خلاصة وجيزة وأمينة لكل ما قيل من شكوك وشبهات في  
مسألة استناد نهج البلاغة للامام • ونورد في ادناه جواب هذه الشبهات

بالتسلسل ، عسى أن يكون فيه ما يرضي الباحث ويقنع الحائر • فنقول :

### جواب الشبهة الاولى :

ان الصحة - في اللغة - لاتدل على أكثر من المعاشرة والمعاصرة ، ولا علاقة لها بتوافق الرأي وانسجام العقيدة بين الصاحبين ابدأ ، ويقول تعالى في محكم كتابه : ( قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك ) ويقول تعالى مخاطباً كفرة مكة : ( ما بصاحبكم من جنّة ) والى آخر ما هنالك من شواهد قرآنية وحديثية وشعرية •

ومن هنا يظهر ان من عاصر رسول الله - ص - وعاشره وان صحّ اطلاق لفظ « الصاحب » عليه لايمكن أن يوصف بالايمان والتقوى والورع والوثاقة مجرد تلك المعاصرة والمعاشرة ، بل لابد من دراسة شاملة لأعمال ذلك الصحابي ليُرى من سلوكه وتديّنه والتزامه مدى استحقاقه لصفة الوثاقة وللتزكية الحقيقية له في ضوء ذلك كله •

وحسبنا دليلاً على ذلك ما رواه البخاري عن النبي - ص - من قوله : « ليرفعنّ اليّ رجال منكم حتّى اذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب استجابي ، يقول : لاتدري ما أحدثوا بعدك » وفي نص آخر : « فأقول : امتي ، فيقول : لاتدري مشوا على القهقري ، » وفي نص ثالث : « فيقال : انك لاتدري ما بدّلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن بدّل بعدي ، (١٦) •

وفي لفظ ابن ماجة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحكم أو وينكم لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، (١٧) •

واذن • فليس كل صحابي منزهاً من الذم ، وليس كل صحابي

(١٦) صحيح البخاري : ٥٨/٩ - ٥٩ •

(١٧) سنن ابن ماجة : ١٣٠٠/٢ •



محرّم الثلب ، ولذلك فلا مانع - ابدأ - ان يذكر عليؑ بالذم والثلب من°  
يستحق ذلك منهم ، خصوصاً وان بعضهم قد شهر السلاح بوجهه وأعلن  
الحرب عليه وكان يود سفك دمه والاجهاز عليه مهما كانت الوسائل وبأي  
سبيل كان .

ولذلك ، فلم يكن من المستبعد أن يذمّ عليؑ هؤلاء واشباههم ، وليس  
في ورود مثل هذا الذم في كلامه ما يحمل على الشك في انتساب ذلك الكلام  
اليه . خصوصاً وانه قد أثنى على الصحابة الملتزمين بالأبواب ثناءً جميلاً بلغ  
حدّ التأوه والحنين على فراقهم ، وعلّل حينه عليهم لأنهم « تلوا القرآن  
فأحكموه ، وتدبّروا الفرض فأقاموه ، أحيوا السنة وأماتوا البدعة ..  
الخ » (١٨) .

وهذه هي الموضوعية المذهلة الرائعة التي سار عليها عليؑ طيلة حياته :  
يقول الحق ، وينطق بالصدق ، يمدح من استحق المدح ، ويذم من استاهل  
الذم ، ولا تأخذه في كل ذلك لومة لائم .

### جواب الشبهة الثانية :

ان كلمة « الوصية » ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم عدة  
مرات (١٩) ، كما تكررت في كلام النبي - ص - مرات ايضاً ، ومنها ما  
أعلنه في اجتماع الانذار عندما قال النبي - ص - : « فأيكم يؤازرنى على هذا  
الأمر على أن يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم عنها جميعاً  
فقام علي فقال : انا يانبي الله .. الخ » (٢٠) .

---

(١٨) نهج البلاغة : ٣٤٤/١ .

(١٩) سورة البقرة / ١٨٢ والنساء / ١١ و ١٢ والمائدة / ١٠٦ والى غير ذلك .

(٢٠) تاريخ الطبري : ٣١٩-٣٢١ / ٢ والكامل لابن الاثير : ٤١-٤٢ / ٢ .

وشرح نهج البلاغة : ٢١١/١٣ .

كما ان هناك احاديث نبوية متعددة وُصِفَ فيها عليٌّ بـ « الوصي » ،  
أو « أفضل الأوصياء » أو « خاتم الوصيين » روتها كتب كثيرة ومراجع  
شهيرة معتمدة عند المسلمين (٢١) .

ونظم الشعراء هذا المعنى في ذلك العصر ، وكان منهم رجل اللفظة  
والنحو ابو الأسود الدؤلي الذي يقول :

احبُّ محمداً حباً شديداً      وعباساً وحمزة والوصيا (٢٢)

وكان منهم حسان بن ثابت الذي يقول من جملة قصيدة :

ألتَ أخاه في الهدى ووصيَّه      وأعلمَ منهم بالكتاب وبالسنن (٢٣)

وكذلك النعمان بن العجلان الذي يقول في اثناء مقطعة له :

وصي النبي المصطفى وابن عمه      وقاتل فرسان الضلالة والكفر (٢٤)

والى كثير من الشعراء الذين عقد ابن ابي الحديد فصلاً خاصاً لهم

ولما ورد في شعرهم من « وصاية » علي ، وهم عدد كبير من البدرين وآخرون  
من الصحابة والتابعين (٢٥) .

أما الشعراء المتأخرون عن ذلك العهد - عهد الصحابة والتابعين - فقد  
تكررت في شعرهم كلمة « الوصي » ، نمتاً خاصاً بعلي ، ولكننا لانرى المجال  
متسعاً لسرد ذلك كله ، ومثله القول في غير الشعراء من المؤرخين وكتاب  
التراجم وسائر المؤلفين .

---

(٢١) يراجع في معرفة هذه المصادر والوقوف على نصوصها كتاب الغدير :  
٢٥٢/٢ - ٢٦٠ .

(٢٢) ديوان ابي الاسود الدؤلي : ٧٣ .

(٢٣) الموفقيات : ٥٩٨ وشرح نهج البلاغة : ٣٥/٦ .

(٢٤) الموفقيات ايضا : ٥٩٣ .

(٢٥) شرح نهج البلاغة : ١٤٣/١ - ١٥٠ وقال ابن ابي الحديد تعليقا على

هذه الاشعار انه نقلها عن « ليس من الشيعة ولا معدوداً من  
رجالها » وان « الاشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جدا ولكننا  
ذكرنا منها هنا بعض ما قيل » .

واذن • فكلمة « وصي » نبوية أصيلة لايسع المسلم ولا غير المسلم  
تكران اصالتها اللغوية والدينية والتاريخية ، وقد استعملها الجيل الأول من  
اجيال الاسلام بمعناها الخاص الذي نغنيه •

### جواب الشبهة الثالثة :

ان الطول والقصر في الخطبة والعهد والرسالة انما يرتبط بمناسبة  
الكلام ، وقد عرف العلماء البلاغة : بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فاذا  
اقتضت الحال التطويل كان على البليغ أن يطيل ، واذا اقتضت التقصير قصر  
وعندما رأى بليغ العرب سحبان وائل وهو في مجلس معاوية ان المقام  
يستدعي الاطالة قام فخطب من حين انتهاء صلاة الظهر والى أن حلّ وقت  
العصر<sup>(٢٦)</sup> ، من دون أن يرى احد الحاضرين أن ذلك مخالف للبلاغة  
أو خارج عن اصول الكلام •

وقد أجاب على هذه الشبهة عدد من الكتاب ، منهم الدكتور زكي  
مبارك الذي يقول :

« ان مسألة الايجاز والاطناب كانت تجري في الغالب على مقتضى  
الحال ، فكان الكاتب يوجز تارة ويطنب اخرى ؛ وفقاً للظروف التي يكتب  
فيها رسالته ، وكان من الخطباء من يطيل وكان منهم من يوجز ، ولا يرجعون  
في ذلك الى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام ، فتقضي مرة بالاطناب  
وتقضي حيناً بالايجاز • وسحبان وائل الذي عرف بالتطويل وبأنه كان  
يخطب احيانا نصف يوم أثرت عنه الخطبة القصيرة الموجزة » •

« ورسائل علي بن ابي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده الى ولاته  
تجري على هذا النمط فهو يطيل حين يكتب عهداً يبين فيه ما يجب على  
الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه ، ويوجز حين يكتب الى بعض خواصه

---

(٢٦) سرح العيون : ٨٠ •

في شأن معين لا يقتضي التطويل ، (٢٧) .

### جواب الشبهة الرابعة:

ان السجع والإزدواج اللفظي ليس شيئاً غير معروف في ذلك العصر كما يزعم الدكتور احمد امين (٢٨) ، وحسبنا فيه انه اسلوب القرآن الكريم، وما أحرى تلميذ القرآن بالسير على منهج القرآن حتى في الاسلوب والتعبير وفن صياغة الكلام .

وقد روى المحدثون وانورخون سجعاً وازدواجاً في كلام النبي (ص) (٢٩) وكلمات بعض الصحابة ، ولكن دليل القرآن هو الأصل، وقد سار الجميع على هدى هذا الكتاب وتأثروا باسلوبه .

ويقول الدكتور زكي مبارك معلقاً على ذلك :

• وقد رأينا التوحيدي يخترع حديث السقيفة ويرى من الفن أن ينطق الصحابة بكلام مسجوع ، لأنه كان يعرف لغتهم كذلك ، (٣٠) .  
• واذن . فالكلام المسجوع كان معروفاً ومألوفاً يومذاك ، ولا مجال للشك في صحة نسبة مثل هذه الكلام للنبي وصحابته ومعاصريه .

### جواب الشبهة الخامسة :

ان دقة الوصف لشيء ما فرع التأمل الدقيق في ذلك الشيء ، وكلما كان التأمل أعمق وأدقّ وكان الوصف أشمل وأكمل كان معنى ذلك ان التأمل على جانب كبير من الذكاء والبقرية . وهؤلاء العلماء الذين عرفهم العلم في كل عصوره كان نبوغهم مستنداً الى التأمل في الأشياء وفي البحث

(٢٧) النشر الفني : ٥٨/١ - ٥٩ .

(٢٨) فجر الاسلام : ١٤٩ .

(٢٩) شرح نهج البلاغة : ١٢٨/١ - ١٣٠ .

(٣٠) النشر الفني : ٦٩/١ .

عن كنهها واعماقها المجهولة ثم وصف ما يجهله الناس من ذلك الكنه الغامض  
وتلك الأعماق التي لم يعرف بنو الانسان عنها شيئاً •

ولا أظن ان انساناً ينكر على أي عالم من هؤلاء دقة وصفه وعمق  
غوره وكشفه الأسرار والاستار الخفية المجهولة •

فلماذا ينكر الدكتور احمد امين<sup>(٣١)</sup> واشباهه على عليّ أن يصف  
الجرادة بدقة أو يتحدث عن النملة بعمق؟! •

انها مسألة فيها نظر ! •

وحتى « الطاووس » الذي كان وصف علي له دليلاً - لدى بعض  
المغفلين - على كذب نسبة تلك الخطبة للإمام لأن المدينة لم يكن فيها  
طاوويس ، فقد شاهده الامام بالكوفة « وكانت يومئذ تجبى اليها ثمرات كل  
شيء وتأتي اليها هدايا الملوك من الآفاق »<sup>(٣٢)</sup> ؛ وتأمل فيه بدقة ؛ وعائنه  
معاينة العالم الذكي العبقرى ، وخرج من كل ذلك بما ذكره في خطبته  
الواردة في نهج البلاغة ، وقد أشار في خلالها الى معنى الملاحظة الفاحصة  
المبنية على المشاهدة العميقة والرؤية الدقيقة فقال عليه السلام : « احيلك من  
ذلك على معاينة »<sup>(٣٣)</sup> •

ولعلّ ذنب علي في ذلك كله انه كان دقيق النظر بأكثر مما كان عليه  
اهل عصره ! •

وانه لذنب كبير بلا شك !!

### جواب الشبهة السادسة :

ان التقسيمات العددية الواردة في نهج البلاغة ليست بدعاً في بابها ،  
والظاهر ان الدكتور احمد امين لم يكلف نفسه عناء المراجعة عندما كتب

(٣١) فجر الاسلام : ١٤٩ •

(٣٢) شرح نهج البلاغة : ٢٧٠/٩ •

(٣٣) نهج البلاغة : ٣٠٦/١ - ٣٠٧ •

يقول عن هذه التقسيمات انها « انما حدثت بعد أن نُقِلَت الفلسفة اليونانية الى العربية وبعد أن دُوِّنت العلوم ، (٣٤) .

وقد ورد في المأثور من كلام النبي - ص - : « ثلاثة لا يكاد يسلم منهم أحد . . الخ ، (٣٥) . « أوصاني ربي بتسع وأنا أوصيكم بها . . » (٣٦) . « أربع من التُّشَر : شرب الصل . . الخ ، (٣٧) .

وورد في المروي عن الخليفة ابي بكر : « ثلاث فطنتهنَّ وددت اني تركتهن ، وثلاث تركتهن وددت اني فطنتهن ، وثلاث وددت اني سألت رسول الله - ص - عنهن . فأما الثلاث . . الخ ، (٣٨) .

وورد في المروي عن الخليفة عمر : « النساء ثلاث . . الخ ، (٣٩) . « الانسان لا يتعلم العلم لثلاث ولا يتركه لثلاث . . الخ ، (٤٠) . « الرجال ثلاثة . . الخ ، (٤١) . « ثلاث خصال من لم يكنَّ فيه لم ينفعه الايمان . . الخ ، (٤٢) .

الى كثير من امثال ذلك مما هو مروي عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فهل كل ذلك مما لفقَّه الشيعة على لسانهم ؟ ام ان الشريف الرضي هو الذي وضعه ونحله هذا وذاك ؟!

واين كان الدكتور احمد امين واضرابه عن هذه النصوص ؟!

- 
- (٣٤) فجر الاسلام : ١٤٩
  - (٣٥) العقد الفريد : ٣٠٢/٢
  - (٣٦) العقد الفريد : ٤١٧/٢
  - (٣٧) المصدر نفسه : ٢٧٢/٦
  - (٣٨) تاريخ الطبري : ٤٣٠-٤٣١/٣
  - (٣٩) شرح نهج البلاغة : ٧١/١٢
  - (٤٠) المصدر نفسه : ٧١/١٢
  - (٤١) شرح النهج ايضا : ٧٢/١٢
  - (٤٢) المصدر نفسه ايضا : ١١٨/١٢

## جواب الشبهة السابعة :

كان علي عليه السلام يخطب بالبصرة ويخبر في خطبته ببعض الملاحم .  
« فقال له بعض اصحابه : لقد أعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب • فضحك  
عليه السلام وقال للرجل وكان كليياً : يا اخا كلب ، ليس هو بعلم غيب  
وانما هو تعلمٌ من ذي علم ••••• علمه الله نبيّه فعلمّنيه ، ودعا لي بأن  
يعيه صدري » (٤٣) •

• وهذا هو قولنا في علم الأئمة بالغيب •

• تعلمٌ من ذي علم ؟ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله •

ويؤكد هذا المعنى ما أخرجه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان  
بسنده عن ابن المغيرة قال : « كنت انا ويحيى بن عبدالله بن الحسن عند ابي  
الحسن [ الامام موسى بن جعفر ] عليه السلام ، فقال له يحيى : جعلت  
فداك انهم يزعمون انك تعلم الغيب ، فقال : سبحان الله ••• لا والله ما هي  
الا وراثة عن رسول الله - ص - » (٤٤) •

وهكذا يكشف لنا عليّ - وولده موسى بن جعفر عليهما السلام حقيقة  
علم الغيب الوارد في كلام الأئمة ، ولكن عباس محمود العقاد عندما خفي  
عليه هذا المعنى ولم يقف على كلام الامام في نهج البلاغة سارع الى القول :  
« بأن » النبؤات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات  
التار وما اليها هي من مدخول الكلام عليه ومما أضافه النساخ الى الكتاب  
بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل » (٤٥) •

وهذا من الاشكالات المضحكة !

وعندما يزعم ان ذكر غارات التار في نهج البلاغة « من مدخول

---

(٤٣) نهج البلاغة : ١/٢٤٥-٢٤٦ •

(٤٤) أمالي الشيخ المفيد : ١٣ •

(٤٥) عبقرية الامام : ١٤٠-١٤١ •

الكلام » و « مما أضافه النساخ » فانه لا يعلم بأن في مكبات العالم اليوم نسخاً من نهج البلاغة قد كتبت قبل عصر التار وقبل احتلال بغداد من قبلهم (٤٦) ، وقد ورد فيها هذا النص كما هو مثبت في نهج البلاغة المطبوع ، وكذلك النسخة التي اعتمد عليها ابن ابي الحديد وهي بخط الشريف الرضي (٤٧) .

فمن أدخل هذا الكلام ياترى ؟ وأي ناسخ أضافه ؟

وهل نسبة علم الغيب الى الوضّاعين والناسخين أقرب الى القبول من علم عليّ بالغيب ؟

### جواب الشبهة الثامنة :

ان الظروف الاجتماعية المتطورة التي فتحت على المسلمين آفاق الأرض لم تصحبها عدالة في توزيع الثروة وفي تنظيم الحياة العامة للمسلمين بالانصاف والمساواة الاسلامية ، فحصل - نتيجة ذلك - من سوء النظام وسوء التوزيع والاثراء الفظيع لبعض النعميين على حساب الفقر المدقع للكثرة الكاثرة من الناس ؛ ما حمل الامام على استعمال هذا الاسلوب الزهدي انشار ايه وعلى تكرار ذلك والتأكيد عليه ليخفف من غلواء هذه الرأسمالية العجيبة والطبقية الخطيرة .

وكدليل على صحة هذا الاستنتاج نجد ان افراداً من اصحابه ممن أرادوا الزهد الحقيقي ولم يكونوا من اولئك الذين يخشى عليهم من أن يعميهم حب الدنيا وحب ائمال قد لادهم على زهدهم انتطرف كمثل قوله

---

(٤٦) كالنسخة الموجودة في مكتبة السيد محمد محيط الطباطبائي في طهران وتاريخها ( ٥١٢ هـ ) ونسخة مدرسة فاضل خان في مشهد وتاريخها ( ٥٤٤ هـ ) ونسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد وتاريخها ( ٥٦٥ هـ ) ونسخة مكتبة السيد اليزدي في النجف الاشرف وتاريخها ( ٦٣١ هـ ) .

(٤٧) شرح نهج البلاغة : ٣/١٢ .



لعاصم بن زياد الحارثي عندما بلغه انه لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا :  
« يا عُدَيَّ نفسه ، لقد استهام بك الخبيث ، أما رحمت اهلك وولدك •  
أترى الله أحلَّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ••• قال : يا أمير المؤمنين ،  
هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك • قال : ويحك اني لست  
كأنت • ان الله فرض على ائمة العدل أن يقَدِّروا انفسهم بضعفة الناس كيلا  
يَتَبَيَّغَ [ أي يهيج الألم ] بالفقير فقره » (٤٨) •

واذن • فلم يكن علي بزهده يريد أن يرسم للناس منهج سلوكهم ،  
وانما كان يرى في زهده قياماً بواجب المركز وشؤون المسؤولية • وقد شرح  
هو - سلام الله عليه - ذلك بكل تفصيل في رسالته لعثمان بن حنيف واليه  
على البصرة ، وكان مما قال له في اثناء هذه الرسالة :

« ولو شئتُ لاهتديتُ الطريقَ الى مصفَى هذا العسل ولباب هذا  
القمح ونسائج هذا القزِّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هو اي ويقودني جشعي  
الى تخيُّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا  
عهد له بالشبع ، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي واكباد حري ؟ ••  
أفتقع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو  
أكون اسوة لهم في جشوبة العيش » (٤٩) •

وعندما يصف عليّ المتقين لا يصفهم بالزهد والتصوف وحرمان النفس  
من طيبات الحياة الدنيا وانما يؤكد « ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل  
الآخرة ، فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ، ولم يشاركهم اهل الدنيا في  
آخرتهم • سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت ، وأكلوها بأفضل ما أكلت ،  
فحُظُّوا من الدنيا بما حظي به المترفون ••• ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلَّغ  
والمتجر الرابع » (٥٠) •

(٤٨) نهج البلاغة : ٤٢٢-٤٢٣ / ١

(٤٩) نهج البلاغة : ٧٢-٧١ / ٢

(٥٠) نهج البلاغة : ٢٨-٢٧ / ٢

ان رواية بضعة فقرات من نهج البلاغة منسوبة لغير علي في بعض المراجع والكتب التراثية أمر " لا يدل على نفي نسبة أو تلفيق سند ، كيف وقد حدث مثلها في بعض ما نسب إلى النبي - ص - وإلى عدد من الصحابة من جمل وفقرات ، كما حدث مثلها في عدد كبير من الشعر العربي القديم .

وليس معنى نسبة فقرة نبوية إلى غير النبي في كتاب ما ؛ أو نسبة بيت من الشعر إلى شاعر ما وغيره أن الحديث النبوي أصبح محل شك أو اشكال ، أو ان ديوان الشاعر الفلاني قد أصبح مرفوض النسبة والسند . هذا كله ؛ بالإضافة إلى تلك الحملة الشعواء التي شنتها الحكم الأموي وعدد من الحكام العباسيين على شخص علي بفضائله ومناقبه واحاديثه وتاريخه ، مما حدا بالكثير إلى كتمان ما يعلمه اولئك عن علي ؛ وإلى الاستشهاد بكلامه من دون تصريح باسمه في معظم الأحيان .

### جواب الشبهة العاشرة :

كثيرة هي المصادر التراثية المعتمدة التي تروي كلام علي وخطبه ، وقد سبق تأليفها على عهد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة . وكان السيد عبدالزهراء الخطيب الحسيني قد أحصى (١٠٩) مصادر مؤلفة قبل سنة ٤٠٠ هـ - وهي سنة جمع الشريف للنهج - قد استشهدت بكلام الامام وخطبه ورسائله (٥١) وحملت إلى الأجيال التالية تلك النصوص العلوية دون أن تبدي أي شك في ذلك أو ريب أو توقف .

ويكفي أن نعلم ان من جملة اولئك الرواة القدياء : المفضل الضبي المتوفى سنة ١٦٨ هـ ونصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢٠٢ هـ والقاسم بن سلام

المتوفى سنة ٢٢٣ هـ وابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والسجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ والزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ والمبرد المتوفى سنة ٢٥٨ هـ وابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ والبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ والبرقي المتوفى سنة ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ واليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ واباحنيفة الدينوري المتوفى حوالي سنة ٢٩٠ هـ وابا جعفر الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ وابا العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ والطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ وابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ وابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ والزجاجي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ والجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ هـ والكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وابا الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ والقالي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ .

وبعد : فماذا بقي من تلك الشبهه والشكوك بعد الغرلة والمناقشة ؟  
وهل بقي هنالك مايمكن أن يتعلق به متوهمّ " سليم النفس  
والطوية ؟

وصدق الله العلي العظيم حيث يقول :  
( أما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ) .